

فامن بنفس لم يشبها الأسي لعلها تعرف طعم الهناء  
 تمثلي ان شئت في منظر ياچوليا انكر فيه الفرام  
 او قابض قلباً الى اضلع راح به الوجد واودي السقام  
 غُضبي جنون السحر او فارحى متباً يخشى نزال الجنون  
 ولا تصولي بالقوام الذي تميس فيه يا مناي المنون  
 اني لأدري منك معنى الهوى ياچوليا والناس لا يعرفون

## باب التوب والرجوع الى الله

هو الباب الثاني (الولد) من كتاب اميل القرن التاسع عشر

(٢١) من هيلانه الى اراسم في ديسمبر سنة - ١٨٥

كتبت للحكومة ثلاث مرات استطلعتها شيئاً من اخبارك فصدر في  
 كل واحدة منها امر رسمي باجابتى انك بخير وذلك تهكم وسخرية .  
 أنا لا اطيق هذا السكوت الذي طال امده بيننا ثمانية عشر شهراً  
 فانه قد امضني واحرج صدري ولكني اراني قد اهتديت الى حيلة لا يصلح  
 مكاتبي اليك سنرى حتماً ما يكون من نجاحها وسوءاً على اقلحت فيها ام  
 لم افلح فاني لن آلو جهداً في ملازمة جدران سجنك ومحاصرتها على النحو  
 الذي اعرفه .

انقضت كل هذه المدة ولا سلوان لي عن هي الا في « اميل » :  
 أوه اني لأبذل انفس ما عندي لمن يأتي بك الساعة لتراه يبدو ويروح  
 في البستان مكشوف الساقين الى نصفها عاري الذراعين مرسل الشعر

فان شهر ديسمبر هنا كما اخبرتك فيما سبق غاية في اعتدال الاقليم ويقول  
صديقك الدكتور ان شدة اعضاء الاطفال وتقويتها بتعريضها لهواء الجو  
يعود بالفائدة عليهم في ابدانهم . ثم اعلم ان « اميل » غلام متعب فانه كلف  
بلس كل شيء يقع بصره عليه فهل ينبغي منعه من ذلك ؛ وليتك ترى ما  
يحدثه كل يوم في البستان من ضروب الاتلاف التي كان قويدون في  
بداية الامر يتوجع منها ويشكو . فلما اعيتته الخيل انتهى بالضحك عجزاً  
وبأساً . ذلك لان ولدك له في الاشتغال طرق شتى هو مخصوص بها فهو  
يقلب الارض بمقلب صغير من الخشب وينرس الاشجار (أستقر الله) بل  
اظنه يبني ايضاً ولعلك تقول انه يبني له قصوراً في اسبانيا<sup>(١)</sup> كلا وانما هو  
يقيم بالحصى منارات وكهوفاً ثم ان الذي يضحكني ويسليني منه انه يسمى  
تلك الألاعب شغلا وهي تسمية تشير الى ان الاطفال مجبولون على  
تعظيم اعمالهم في انفسهم وتقديرها باكثر من قيمتها . على ان ما يصدر عن  
سذاجتهم وسلامة طباعهم من انواع هذا التقدير ليس بجملته باطلاً بطلاناً  
تاماً فان ثمرة البلوط مثلاً اذا سقطت على الارض من يد صبي صغير لم  
يحسن القبض عليها لا ينافي ذلك ان تصير يوماً ما شجرة عظيمة (فكيف  
اذا هو غرسها في الارض) هـ .

(٢٢) من هيلانه الى اراسم في ١٢ يناير سنة - ١٨٥

قد اتخذ « اميل » له خلية ولهذا المناسبة ينبغي ان اقص عليك  
حادثة وقعت عندنا فارتعنا جميعاً بسببها ارتياحاً عظيماً . . ذلك ان قويدون  
لما كان قليل الثقة بشرطة الحكومات المتعدنة في حفظ الانفس والاموال

(١) مثل يضره الفرنسيون لمن يتشبث بالاماني الوهمية ويفتر بالخيالات الكاذبة

لما هو لاصق بذهنه من افكار متوحشى افريقيا قد عثر من حيث لا ادري على كلبه ضخمة طويلة الا انها من اشد انواع الكلاب توحشاً فسميناها « الدبة » وهو اسم ينطبق عليها كمال الانطباق في شعرها الاسود وقوتها العظيمة وعرأثرها العدائية وقد وضعت منذ شهرين خمسة جراء تماثلها إلا أنها من حين ولادتها بدت عليها سمات الدمامة والبشاعة فأسكنناها في بيت الدجاج وكان من وراء وضعها ان زاد توحشها الفطري بسبب حنوها الأبي كما يحصل ذلك غالباً من الحيوانات الضارية فقد تخيلت أن تخفي جراءها في سقيفة كانت تحرس مداخلها وتمنعها نفسها لظنها بلا ريب اننا نأخذها منها وقد كنت امرت بأن لا يدخل « اميل » بيت الدجاج بعد سكنها فيه لاني كنت اخشى عليه مقابلة هذا الحارس الجهنمي ولكن كيف السيل الى ذلك وهو مع كونه لم يتجاوز التهادي في مشيته يتسلل ويتدخل في كل مكان . ففي عصر ذات يوم افقدناه في البيت والبستان فلم نجده فأرسلت قويدون في طلبه ثم رأينا بيت الدجاج مفتوحاً فلم يبق في نفوسنا ريب في انه دخله ولكن ضاع بمخنا فيه سدى فأقول خاطر صراً بفكر الزنجي هو ان الكلبة اقترسته وهو خاطر فيه ربح التوحش حقاً .

لم تكن دهشة قويدون بأقل من دعره اذ دخل السقيفة مخاطراً بنفسه فراى « اميل » وقد رقد على الدبة واخذ بأذنيها الطويلتين المتدليتين يجذبهما اليه . وأكثر من هذا خروجاً عن مألوف العادة وابعده منه عن معروفها ان ذلك الحيوان كان يتسامح له فيما كان يفعله به ويحتمل منه لجأته في محكة بشمامة وعلو نفس لا يتصف بها الا الآخذون بطريقة

زينون<sup>(١)</sup> فلم يلبث فوييدون ان فهم وهو مندهش ان الكلية قد اتخذت « اميل » خليلاً واكرمت وفادته فقبلته بين اولادها لكنها لم تمنح الزنجي شيئاً من هذه المراعاة لأنها لما رآته انشأت تهراً وتكشر عن اناياها زجراً له فرأى من الحزم الفرار من امامها فخرج داعياً « اميل » الى اللحاق به فقبه جذلاً مبتهجاً غافلاً عما كان قد اقتحمه من الخطر . من هذا الحين انعقد التعارف بين « اميل » وبين الدبة وكأنها توهته جرواً صغيراً لم تحسن امه لحسه فكانت من أجل ذلك تعتبره ممن يجب لهم حمايتها وتلحس ما انكشف من اعضائه بلسانها العريض وعلى كل حال قد ظهر لي انها حميدة المقاصد فلم يبق لي من موجب للخوف منها على ولدي .

لم يقتصر « اميل » على مصادقة الدبة بل ان له اصدقاء غيرها فجميع سكان بيت الدجاج معارفه ومن العجيب ان تراهم في غاية الائتلاف والوثام ولست اخفي عنك اني مهتمة بهذا العالم البتي الصغير ومشتغلة بشأنه كل الاشتغال .

يوجد على القرب من بستاننا بركة فيها وشل ( ماء قليل ) يزداد بما ينصب فيها من ماء المطر المتحاب من سطوح المنازل فطار بالنا ان نضع فيها بطا وتعهد بذلك فوييدون فاشترى ثلاث بطات من كفر مجاور لنا واصبغنا نتلي بروية ريشها الاخضر الجميل المثل لفلذ المعادن ونبتهج بما تبديه لنا من ضروب المرح واللعب في الماء وبما تسمعنا من البطبطة

(١) هو المسمى زينون السيتيومي نسبة الى سيتيوم مدينة في جزيرة قبرس ولد في سنة ٣٣٨ ومات في سنة ٥٦٠ قبل المسيح وهو صاحب مذهب مخصوص في الفلسفة اساسه الصبر على المكاره

وترينا من الائتلاف الصحيح الذي جمعها وشأجبه ولكن الزنجي لم يلبث ان لاحظ عدم التناسب والتلائم في تألف هذه الجماعة فانه وجد فيها ذكرين لأشي واحدة مع ان البط على ما يظهر يعيل الى تعدد الزوجات على نحو ما عليه الترك بتزوج السلطان الواحد كثيراً من النساء فمن اجل مداواة هذه العلة التي جزم قويدون بمخالفتها لمقتضى الفطرة (١) قد اشترى زوجاً آخر من هذا النوع بعد ان تأكد هذه الدفعة من انوثته وتمراها كما ينبغي وبذلك اصلاح الخطأ الاول بمض الاصلاح وبقي امر ما كان يخطر لنا على بال قبل شراء هذا الزوج فانعكس فيه تقديرنا وخاب حسابنا وهو استقبال البطات القديمة لهذا الزوج فانها بمجرد ان رآته ولته ظهورها مصرة على مجانبته وكلما حاول القرب منها نهرته وأوسعته نقرأ فاردنا التوسط في الصلح بين الهريقين فلم يجد ذلك نفعا لاننا ما سكنا نفاقهما حتى عمدت الثلاث القديمات مجلساً للشورى بينها بمنزل عن الحديثين وانشأن يبطن طويلاً ولم اعرف مادار بينهما من التناول والتشاور بنصه لعدم معرفتي لسانهن ولكن معناه كان ظاهراً فكأنهن كن يقطن « اننا قد سكنا هذا المكان قبلها ولنا الحق من اجل ذلك ان نعتبرهما دخيلتين فاجدر بنا ان نشوى على السفود شيئاً او ان نجهز بالفت طعماً لآكلين من ان قبلها في جماعتنا فنحن بط واما هما فليستا الا من السقط »

لما لاحظ قويدون ان احد افراد هذه الجماعة وهو ذكر ايض ذو

(١) يدل هذا القول على جهل الاوربيين بحال المسلمين وقول قويدون ان التعدد مخالف للفطرة انما سرى اليه من سيده وامثالها ففعل عن الفطرة في قومه وفي البط وانما هي فطرة اراد الانسان المدني تهذيبها

فتزعة طويلاً كان اشدها لجماعة في النفور صمم على ذبحه على نصب الوفاق فداءً للاتحاد والتآلف فلما فعل انتج هذا القربان مع اسفي عليه اُره المطلوب فأخذ كل فريق يتدرج في التقرب من الآخر حتى انتهى بان صاروا جماعة واحدة وان كانت البطة القديمة هي السلطانة الخلية . فما رأيك في ذلك الشتم والترفع في هذا الجنس الحيواني؛ ترى ان الميل للسودد والشرف هو الاصل الثابت في الفطرة وان المساواة بالمعنى الذي نفهمه منها امر عارض عليها اكتسبه الانسان بالعدل

لو شئت لقصصت عليك أيضاً وقائع كثيرة في عوائد الحمام واخلاقه هي بالنسبة الى جديدة . فقد تين لي من النظر في معيشتته في برجننا ان اموره لا تجري تماماً على ما تصفه الكتب من جعله في الجملة مثلاً للصداقة والوفاء بعقد الزوجية لاني رأيت ذكراً عتيقاً متزوجاً بحمامة فتية كان حظه معها حظ اولئك الشيوخ الضماف الذين تمثل الروايات الهزلية خضوعهم وتسليمهم قيادهم لمن يخالطونهم . فتركته في يوم من الايام واستبدلت به ذكراً فتياً متصلاً استمالها منه بلا ريب رقيق كلامه وجميل تحيته وسلامه وكأني بك تقول أي الزوجين كان مخطئاً الزوجة لانها طائشة وسريعة التحول والانتقال أم الزوج لانه اغفلها ولم يراعها كما ينبغي فاجيبك انه ينبغي الحذر من المجازفة في الاحكام على غير علم ومن اجل ذلك فانا قبل كل شيء امسك عن الحكم واقول ان الزوج الخون على كل حال قد تلقى سقوط حرمة بلونفس يدل على الشجاعة الحقيقية فكان اذا اتفتت مقابلته لزوجته الخائنة في طريق يمر بجوارها بدون ان يظهر عليه انه رآها وان يبدى أقل امارة على حنقه عليها الا انه لم يكن البتة على هذا التسامح مع من اغتصبها

منه لانهما عندما كانا يتقابلان كانا يتبادلان النقر الا ان الوقع كما كان  
 منيلاس وباريس يتبادلان الطعن والضرب في حومة الوغى (١) ولما  
 قضت الحامة المطلقة زمن المشق وحن وقت الحضانة على البيض لم تحسها  
 لانها ورفيقها كانا من فرط اشتغالها بدواعي الحب بحيث لم يكن لييسر  
 لهما ان يكثرا من التفكير في فروض البيت ولم تعذب هذه الحالة عن ذهن  
 الزوج المهجور فاننا رأينا ذات يوم يخرجهما من احدى المحاضن حيث  
 كانا مشتغلين بتربية افرأخهما وهما والحق يقال ما كانا يأتیان بها على وجهها  
 وكأنه كان يقول لهما وقت اخراجهما « أفاً عليكما انما لاتعرفان من التربية  
 شيئاً فخلّيا مكانكما » فلم يكن الا ان خلياها بعدمقاومة ضعيفة وجعل هو يحسن  
 العناية بشان ادعيائه وسمة الظفر والفخر بادية على وجهه . فنهت فكري  
 بهذه السيرة الشريفة الى امر من المحتمل ان يكون هو سبب شقائه بزوجه  
 وهو ان صفة الابوة فيه غالبية على صفة الزوجية

« اميل » كما لا يعزب عن فكرك مجهل كل هذه الاعتبارات المختلفة

التي لاحظتها في معيشة الطيور وبودى انه لا يفهم كل ما فيها وانما الذي  
 اعجب به هو ما استقر بينه وبين معظم سكان بيت الدجاج من الالة  
 والارتباط . هذا واننا كثيراً ما تساءلنا عن السبب في ان تأيس الحيوانات  
 كاد ينقطع من عهد ان وجدت المجتمعات المدنية . لا شك في ان علتة  
 ذلك ليست هي اعواز الحيوانات المتوحشة فان في الصحراء كثيراً من

(١) منيلاس هو ابن اترية واخو آغا ممنون صار ملكاً لاسبارطة بزوجه هيلانه بنت

بندار وباريس هو ابن بريام وعقيقه وكان السبب في انتشار حرب ترواده الشهيرة بخطفه  
 هيلانه زوجه منيلاس ملك اسبارطه وقتل في هذه الحرب اشيل وقتل هو ايضاً بسيف يروس

انواعها النافعة التي يكون من فائدتها الظفر بها لو زال المانع من ذلك فاذا كان الامر كما اقول الا يكون السبب في وشك انقطاع التأسيس هو كون الانسان في عصرنا الحاضر لم يبق فيه من سذاجة الفطرة ما يكفي لفئة الحيوانات المتوحشة به وان صفات الطفولية هي اللازمة لذلك



## السبع والخمسة

### وَالْبَقَايَا لِيَدِّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ

﴿ قسم الاحاديث الموضوعية ﴾

« العلم والعلماء »

من الجليّ الظاهر ان وضاع الحديث من صنف العلماء وقد وضعوا احاديث كثيرة لتعظيم شأن انفسهم ليعظمهم الناس ويعتقدون تفوقهم واستغلامهم ثم استنبطوا فروغاً فقهية في هذا التعظيم لانفسهم انتهى بهم الغلوّ فيها الى ان حكموا بالكفر على من يهين احداً من العلماء حتى قال بعضهم من قال لبابوج العالم بويبيج كفر اي من صغر الحداء المضاف اليه في اللفظ يكفر حتى كأنه اشرك بالله واعتقد ان لاحد غيره سلطة غيبية يضرّ بها وينفع ويتصرف في الاكوان فيما وراء الاسباب بل كثيراً ما يتساهل المتساهلون في جزئيات من مثل هذا ويروجونها بالتأويل ولا يتساهلون فيما يمس اشخاصهم او منافعهم ولا اعني بهذه المقدمة ان اهانة العلماء جائزة حاشا لله ان اجيز اهانة من دونهم ولكنني انكر على العالمين